نـافـذة

عن القوة وسرّ القوة

لا يقل البحث عن القوة وسرها عن الوجود وسره، بل إن كثيراً من القراء، وأنا منهم يثمّن القوة ويضعها في مراتب عليا، فالقوة قد تصل في أحايين كثيرة إلى مرتبة الناموس المتحكم بالعالم والكون، وما تشاؤه القوة هو الذي يمكن أن يحدث، ومن أصغر خلية في جسم إنسان إلى أكبر قضية في الكون، القوة هي التي تتحكم بكل شيء، وما يتبقى يتبع لها، ويدور في فلكها! ولا مغالاة إن قلت: إن الفكر السلطوي في الحياة بني على مبدأ القوة، ووجد مسوغاته من خلال القوة، واستعان لذلك بالمؤسسات الدينية في كل عصر في إيجاد النظريات التي تسوّغ له ما يريده ضمن أطر عديدة، إذ لا يكفي مظهر القوة ليعطي الهيمنة ويمارسها إلا إذا تمكنت القوة من ضمان وجود مشرّع ومؤدلج لها.. وتسلسل القوة الظاهرية هو جوهر النظرية التسويغية التي بنيت عليها العقائد، ولننظر إلى خطر هذه النظرية التي تجعل المجتمع بتمامه ناقماً وغير قادر على الانسجام في حياته، فالأطفال والشباب ليسوا مهمة مجتمعية، بل هم مؤسسة أسرية، ما يجعل هذه الطاقات على تمرد ورفض، ومن ثم تبعية للمؤسسة الناظمة، ما يفقدها قدراتها وطاقاتها التي تجعلها وقود معرفة وفلسفة وعلم.. بينما الرؤية الاستقلالية تتيح لهم مقداراً من الإبداع، وخاصة إن كانت المهمة المجتمعية هي التي تفعل فعلها، وتخطط لعمل وإبداع الفئة الشابة.. ومن ثم يصح الانتقال إلى الموضوع الإشكالي الأكبر في أي مجتمع من المجتمعات غربية وشرقية، وهو موضوع المرأة والرجل، فقد أعطت القوة المجتمعية لا البدنية للرجل حرية التحكم بحياة الأسرة والمرأة ضمناً، علماً بأن الرجل قد لا يملك مؤهلات القوة الحقيقية في جسده، ولا يملك الملاءة الاقتصادية التي تجعله في قمة هرم الأسرة، ولكن المؤسسة الدينية جعلت المرأة تابعاً بصورة فكرية أو جسدية أو مالية، ففي بعض الشرائع ينظر إلى اللقاء الجسدي بين المرأة والرجل كطريقة للإنجاب وحده دون النظر ما يمكن أن تحمل هذه العلاقة من إبداع وروعة يتعذر الوصول إليها ضمن هذه الرؤية، بل إن العلاقة بينهما تتحول إلى مؤسسة مترهلة لا يعبأ أحدهما بالآخر بعد أن أنجز عملية الإنجاب ومتابعة السيرورة..! ولأن الرجل يتظاهر بالقوة فإنه يمارس حياته وحده وقد لا يكلف خاطره بالنظر إلى الأضعف كما أعطاه المجتمع.. وفي بعض الشرائع نسمع كلاماً عجباً من باب الإنصاف كما يبدو في الظاهر، فالرجل هو الحاوي والمسيطر، وهو صاحب الواجب، وهو المطلوب منه أن يصرف على امرأته، وخصت المرأة بالنص، بغض النظر عن غناها، فمهما كانت غنية لا يطلب منها أن تقدم شيئاً، وعلى الرجل أن يتولى مهمة الصرف عليها ولو كان معدماً! فالمرأة بين أن يتكون وعاء وآلة للإنجاب فقط، وبين أن تكون محتفظة بما لها لنفسها، وتأخذ مصروفها من رجلها تبقى المرأة تابعة للرجل القوي مجتمعياً، وبعض الذين يرون أن تولي أمر الرجل للمرأة وحاجاتها نوع من إنصافها، يجب النظر حقيقة إلى تحويل المرأة إلى عنصر اتكالي يكتنز ما عنده، وهو في المحصلة سيعطيه لأسرته ليبقى تابعاً للرجل، وفي هذه الرؤية الكثير من الظلم، فالرجل هو الذي يعطي، وهو الذي يعمل، وهو الذي يغيب، وهو وهو مهما كانت المرأة قادرة..! أليست رؤية جعلت الرجل هو القوة التي تهيمن على المجتمع وتؤدي إلى سلبة مقومات نجاحه ورفعته؟ وفي هذا السياق يمكن أن نفهم فلسفة الإنسان المقهور التي فصّلها المفكرون والفلاسفة وقد وقف عندها الدكتور مصطفى حجازي في رسالة أكاديمية حين فسّر الظلم الاجتماعي، فالمرأة يظلمها زوجها فتصب جزءاً على أطفالها، والأطفال يصبون ظلمهم على زملائهم ومجتمعهم، والرجل الذي يظلم امرأته يظلمه عمله أو مديره، والمدير يظلم مرؤوسيه، وذلك رد فعل على ظلم وقع عليه من رؤسائه، وهكذا تتوالى منظومة القهر والظلم في المجتمع، وكل ذلك يبنى على مبدأ القوة، وسرّها هذا يجعلها قادرة على التحكم في المجتمع، والرجل الواقع تحت فيروس المسؤولية يشكو من المتاعب، يرفض أن يتخلى عن متابعته، لكنه لا يقف عند حدّ من الشكوى والتأفف، وشيئاً فشيئاً تضيع القوة، وتبقى مؤسسة منهارة، بينما الشراكة الحقيقية القائمة على رضا الطرفين يمكن أن تحقق الكثير من الاستقرار، إضافة إلى محاولة صادقة في أن يبحث كل واحد عن الاستقلالية، وهذه الاستقلالية ستجعل المجتمع بجملته في مكانة القوة التي يصعب أن ينال منها أحد من منظومة المجتمع، وهذا البنيان ليس منفصلاً، بل غاية المستفيدين تتمثل في إضعاف البنية المجتمعية بشكل كبير ليسهل عليهم أن يسيطروا ويهيمنوا على التكتلات والأفراد، وكلما كان المجتمع اتكالياً وغير مستقل سهل العمل على قيادته والسيطرة عليه.. وللحفاظ على قوة الذكورة نال المرأة ظلم كبير، والطريف أن المنظومة المجتمعية عملت على إقناع المرأة بواقعها، بل في كثير من الأحيان نجد امرأة مثقفة وعاملة وقادرة على أن تكون قوية هي التي تقر بضعفها، وليست ضعيفة، وترتضي التبعية، وهي تدرك هشاشة من أسلمته قيادها، فهي التي تجعل نفسها تابعة ولا تقدم أي خطوة لتصبح نداً، فما بالنا عندما تكون المرأة غير مالكة لهذه المقومات؟ الخطورة كبيرة، فأي بحث عن المساواة بين المرأة والرجل لا يقوم بالقوامة، ولا بالعصمة، ولا بأي شيء من الصرف والحياة، ولا يقوم بحصة تحددها الدولة للمرأة بأن تأخذها في مواقع المسؤولية، فكلها جوانب سرعان ما تتلاشى في تغير الظروف والأحوال، وتتحول على المجتمع وضده، وتصبح عناصر ضعف من الصعب تلافيها بسرعة، فمن الصعب إقناع الرجل ولو كان متلاشياً بأنه لم يعد كذلك قوياً، ومن الصعب إقناع المرأة التي صارت ضد المرأة، وضد ذاتها، بل تحولت إلى عدو لكل مسام من مسامها بأن تمارس دورها، إلا إذا وجدت ذات لحظة نفسها وحيدة وأمامها أسرتها، ويقولون فقدت معيلها تحت ظرف من الظرف، عندها ستنهار كتلة من لحمة لا قيمة لها، وهي التي كانت قادرة على الفعل.. الكلام ليس تنظيراً أو فلسفة، بل هو قراءة لما أحدثته وأفرزته الأزمة السورية، فالحرب على سورية التي استمرت هذه السنوات استطاعت أن تستخرج مواضع التعفن في نظرية القوة، والدولة أو السلطة هي التي تتحمل عبء ما حدث، لأنها أخطأت في صنع النسيج الاجتماعي القائم، على الاستقلالية من خلال قوانين تسنها في الحياة والعمل، وهي التي ستتحمل عبء المرحلة القادمة في إعادة الصحة إلى البنية التي تفككت وتهلهلت، ووصل تأثيرها إلى البيئات التي كانت بمنأى عن الحرب وإدعاء الحصانة ذهب أدراج الرياح.

الدولة قوة، والسلطة قوة، وما أدراك بالقوة وسر القوة، فالله يزع بالسلطان ما لا يفعل بالقرآن، كذلك قال العرب، وهم يقدرون قيمة السلطة والسلطان في الفعل، ليس لأنه سلطان، بل لأنه القوة، بينما النص المقدس مدارسة وقراءة وتدبر وفعل، وهذه المراحل عديدة وتحتاج جهداً، بينما السلطان قوة، وقراراته الصائبة التي تأتي في وقتها المناسب تجعل المجتمع محكوماً بالقوة، وهنا يتبادر إلى الذهن التساؤل عن سر ضعف المجتمعات وهي المكللة بالدول! ما يجري اليوم على الأرض العربية وغير العربية، إذ بدأت ارتدادات الأحداث تنتقل إلى مجتمعات أخرى، يؤكد مسؤولية الدول والسلطات في تحقيق القوة في المجتمعات، فالرجل الذي ترك أسرته تحولت إلى هشيم، ولا يكون قوياً بضعف امرأته وأسرته وأولاده، ولكنه يشكل قوة وأسرة قوية بقدر ما يمنح أسرته قوة وشخصية واستقلالية.

وكذلك الأمر للحكومات والسلطات عندما تحقق لرعاياها القوة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية فإنه من الصعب على أي شيء أن يدخل فيها ويؤثر، فالقوة الفكرية رأي، والرأي المدعم بالقناعات لن يتغير بدخول الغوغاء، والقوة الاقتصادية مال، ورأس المال جبان ويجب المحافظة عليه، وعندما يكون الاقتصاد المؤسسي والفردي بصحة لن يتنازل عن هذه الصحة للرعاع واللصوص، والقوة الاجتماعية تماسك تلغي أي نوع من الفوارق والنوازع التي تتبادر إلى الذهن، ولن يتنازل أحد عن مؤسسة اجتماعية قوية تحظى باحترامه، وهذا يحقق للسلطة القدرة على خلق القوة السياسية والعسكرية، والحفاظ عليها في نخبتين لا أحد يقترب منهما.. ولا يحتاج المواطن إلى سلاح القوة، ولن يحمل طلقاته في جيبه، لأن القانون هو الذي يجعله قوياً، ويجعله مرتاحاً، بل يجعله منصاعاً بالرضا التام.. القانون قوة عامة تستخدمها نخبتان، والسلاح قوة فردية يملكها من هو ليس أهلاً لامتلاكها... والحكمة قوة يمكن أن تجعل الإنسان قادراً على فعل ما لا يتوقع منه، ولكن شروط وجود الحكمة وتوفرها بحاجة إلى نظرة موشورية إلى خيوط القوة ولعبتها وسرّها، من دون التخلي عن القوة الشخصية، وإكساب درجات من القوة لمن هم سبب قوة القوي، وإلا تسلل الضعف إلى كل ما نظنه قوياً!

يقول ابن خلدون بالدول، وبأن الدول تدول وتمر بمراحل عدة، ولكنه بحكمته وعلمه شبهها بالإنسان من الولادة إلى الشباب والرجولة والهرم والشيخوخة والنهاية، اليوم القوة بيد الدول الكبرى وشركاتها متعددة الجنسية، ومن قبل كانت القوة لغيرها، ومن قبل كانت لأقوام آخرين، ولكن كل استعراض للتاريخ يجعلنا نبحث عن القوة ومواطنها فينا، فالقوة هي الناموس، وهي من يفرض قوانينه وأنظمته على المجتمع والمجتمعات، ولا يكفي أن نظن أنفسنا أقوياء، ولا يكفي أن نكون تقانيين، ولا يكفي أن نملك لغات عدة، ولا يكفي أن نباهي بتراث وتاريخ... ولا يكفي... لكن الأمر يحتاج إلى جملة واحدة وهي أن نقرر أن نكون أقوياء بأنفسنا، وأقوياء بمن هم حولنا من الدائرة الضيقة إلى الوطن الكبير، ولن أكون قوياً إلا إذا كان من حولي أقوياء.

إسماعيل مروة

«آلهة الياسمين».. عرض أسطوري لتاريخ سيدات سوريات عظيمات

منال عجاج: الجيش العربي السوري مصدر الأمان والحرية والكرامة والكبرياء

وائل العدس – بيروت
تصوير: خاص – الوطن

منال عجاج تتوسط ١٢ شاباً يرتدون زي الجيش العربي السوري

أطلقت المصممة السورية العالمية منال عجاج عرضها الجديد خلال أسبوع الموضة في العاصمة اللبنانية بيروت في فندق الفورسيزن، مازجة آخر صيحات الموضة والفن والجمال والتاريخ والمجد والدراما في عرض واحد.

ولأنها تركز على الرمزية في أسماء عروضها، فإنها اختارت اسماً غريباً ومشوقاً وغامضاً جمع بين الحداثة والعراقة، ومفعماً بعبق الياسمين الدمشقي ومعتقاً بتاريخ سورية الأصيل.

«آلهة الياسمين» هو العرض الجديد الذي نسجت عجاج من خلاله ملحمة جديدة من خيوط الياسمين الذهبية، لتحكي قصصاً ملأى بالأحلام والسحر والخيال والرومانسية، ومستمدة من الواقع المعاصر والقديم، ولا تخلو من المفاجآت التي اعتدنا عليها في عروضها التي وصلت للعالمية.

عجاج التي لا تحب الحديث عن تصميماتها، فاجأت الجميع بطرح ما هو مواكب للذوق الراقي والرفيع، تاركة الحكم للجمهور الذي خرج مندهشاً ومذهولاً وشغوفاً بالأزياء المبتكرة كلياً، عندما قصت لهم حكايا ملكات سطرن التاريخ وطرزن لوحة بديعة اسمها «سورية».

> فنانون: أشبعتِ أرواحنا حباً وشغفاً وعبقاً برائحة الياسمين

ولم تتردد عجاج في أن يكون الجيش العربي السوري الرسالة الأهم في عرضها لتخبر العالم أجمع أن هذا الجيش البطل هو مصدر الأمان والحرية والكرامة، وكان وما زال يضحي لنستمر في هذه الحياة، وهو أقل واجب تقدمه مصممة عرفها الناس بوطنيتها وولائها لشعبها.

ورافق العرض الذي أخرجه الفنان عبد المنعم عمايري موسيقا من تأليف الموسيقار إياد الريماوي، وتخلله عدد من الرقصات التعبيرية، ورافقه لوحات غرافيكية وشرح بسيط باللغتين العربية والإنكليزية، وحضره عدد من الوجوه الفنية والدبلوماسية والإعلامية.

وحضر الحفل من الفنانين فاديا خطاب وميرنا شلفون وروعة ياسين ونادين قدور ورهام عزيز وأيمن عبد السلام وملكة جمال أوكرانيا وملكة جمال المغرب والإعلامي ميشيل قزي، والنجمة المصرية شيري عادل وقدمت الحفل الإعلامية اللبنانية ساشا دحدوح.

محطات سوريّة

خلال المشهد الأول وبعد الرقصة الافتتاحية، روت عجاج قصة ثماني ملكات كتبن تاريخ الشرق قبل الميلاد وبعده، فبدأت مع «الآلهة عشيرة» لتمتزج بالمجد والقوة مع «الآلهة أترعتا» آلهة الساحل، ولتمضي إلى فن وإبداع «أورنينا» أول مغنية في التاريخ، إلى بطولات وحكمة كل من الملكات «سميراميس» و«أليسار» و«أوروبا» و«جوليا دومنا» إلى «زنوبيا».

وفي المشهد الثاني، انتقلت عجاج من مراحل ما قبل التاريخ والعهود الرومانية وما قبل الإسلام، لتحط بنا في الحضارة الإسلامية، لوحة تنسج على ألحان الحضارة الإسلامية لتعبر بنا بين العهود الإسلامي والخلافة الأموية والعباسية والفاطمية والأندلسية، نساء عظيمات حكمن وكتبن التاريخ المشرق.

والبداية من «الملكة زبيدة» ثم «ست الملك الفاطمية» أتبعتها بـ«صفوة الملك زمرد خاتون – ملكة دمشق»، و«ست الشام زمرد خاتون – أخت صلاح الدين»، و«فاطمة المجريطية الأندلسية».

وتحدث عجاج في المشهد الثالث عن نساء سطرن البطولات وكتبن تاريخ سورية الحديث بإنجازاتهن وبطولاتهن، أولاهن الصحفية والأديبة والشاعرة ماري العجمي التي أسست أول مجلة نسائية في سورية وأسست النوادي والجمعيات النسائية، وثانيتهن نازك العابد أول سيدة ضابط في الجيش العربي السوري والتي حاربت وناضلت ضد الاحتلال الفرنسي.

بعد ذلك، تتالى ١٩ تصميماً من آخر صيحات الموضة، والكوليكشن الجديد لعجاج.

أما المشهد الأخير فكان الأكثر تأثيراً، وهو عبارة عن لوحة تحكي قصة شاب وفتاة ضمن المرحلة الحالية التي تعيشها سورية، تعكس المعاناة والحرب الكونية التي انعكست على كل أفراد المجتمع السوري، بما في ذلك الشاب والشابة حيث قضت الحرب التي عاشها السوريون على أحلامهم ومستقبلهم وأرواحهم التي لم يحمها إلا أفراد الجيش العربي السوري الذين بذلوا دماءهم وأجسادهم ليدافعوا عن الحياة الكريمة، ليكمل السوريون حياتهم.

ويفتتح المشهد بظهور ١٢ فرداً من الجيش العربي السوري، تتوسطهم المصممة عجاج بزي خاص، ليرسموا الأمل بعد ذلك مع خروج فساتين أعراس، ليقولوا إن حياة السوريين مستمرة رغم كل ما مروا به، ويرسموا فجراً جديداً للغد السوري، رافق ذلك موسيقا عسكرية خاصة مستوحاة من النشيد العربي السوري والألحان العسكرية مع زفة العروس.

نساء سورية

قالت عجاج إن العرض يحكي عن سورية التي تعني السيدة في اللغة الآرامية، وهي الأولى في التاريخ والعالم، هي «عشيرة» ملكة السماء، و«أورنينا» أول مغنية في التاريخ، و«سميراميس» المحاربة الأميرة، و«جوليا دومنا» التي حمت روما، وهي «زنوبيا» حكاية المجد والجمال.

وأضافت: «هؤلاء ملكات سوريات خلد التاريخ أسماءهن، ودوّن مسيراتهن النضالية، ليكتبن حكاية اسمها سورية، بعد أن سطرن بطولات حفظن فيها الكرامة والأرض والعرض».

وتابعت: «عرضنا مميز للغاية، وأعتبره غير مسبوق، لأنه يحمل فكرة جديدة وطرحاً جديداً من تصميمي، ويروي قصة طفلة صغيرة تربعت على العروش الشرقية، وكبرت لتحمل اسم سورية».

وأضافت: «تناولت في العرض أكثر من ثلاثين سيدة سورية عظيمة، ممن صنعن البطولات، وكان لهن أثر كبير ودور مهم في كتابة التاريخ السوري القديم، والمعاصر، والإسلامي، حتى الآن».

واعتبرت عجاج أن السيدة السورية أبدعت في كل الميادين، فكانت الأم والمربية والطبيبة والمدرسة والمهندسة، وعندما ناداها الوطن حملت البندقية إلى جانب ابنها وزوجها لتدافع عن أرضها وهويتها، مدافعة عن كل شبر وحبة تراب من سورية.

ورأت أن السيدات السوريات نساء لسن كالأخريات، جمالهن وعطرهن أعراسهن مختلفة، صانعات البطولة والأبطال، منابع للعطاء، منهن الشهيدات والجريحات، وأمهات الشهداء، هن صانعات الكرامة وعنوان التحدي والصمود والكبرياء.

قالوا لـ«الوطن»

استطلعت «الوطن» آراء عدد ممن حضروا العرض، فكانت جميعها إيجابية ومشددة على أهمية ما عرضته عجاج وما له من آثار جلية في حياة السوريين، وخاصة عندما ختمت عرضها بلوحة فنية رائعة تشيد بالجيش العربي السوري.

وأكدت الفنانة ريهام عزيز أن العرض مذهل أعادنا إلى تاريخ سورية منذ الأزل بدءاً من الآلهة السورية، ووصولاً إلى المرأة السورية الأسطورية بكل المقاييس، المرأة السورية سيدة الجمال والرقي والأناقة والذكاء والحكمة والقوة ورمز الصمود.

وأضافت: شكراً منال عجاج أيتها الرائعة لأنك أبهرتنا وأشبعتِ أرواحنا حباً وشغفاً وعبقاً برائحة الياسمين.

أما الفنانة روعة ياسين فقالت إن العرض أكثر من رائع لسيدة سورية دمشقية ذكية ووطنية تحب بلدها وتعشق جيشها، ويتضح ذلك من خلال الأزياء المستوحاة من الشخصيات السورية الأسطورية والتاريخية.

وأردفت: العرض جميل جداً، ومنال عجاج مصممة مميزة وتستحق النجاح، لأنها بعيدة عن الكلاسيكية وتظهر في كل مرة بأزياء مبتكرة ومتنوعة وتتميز عن جميع المصممين بمدرسة خاصة بها، لا تشبه أحداً، ولا أحد يستطيع أن يتشبه بها.

بدورها، أبدت الإعلامية ريم وتار إعجابها بالمزيج بين الدراما والأزياء، حيث قالت: إنها شعرت وكأنها تحضر فيلماً سينمائياً يشمل جميع الحضارات، منذ أزل التاريخ حيث بدأت الموضة وحتى أيامنا هذه التي نعيشها فيها الأزمة.

وتابعت: الخليط بين الذوق الرفيع والدراما رائع ومتناسق وانسيابي، وكل الشكر لمنال عجاج وعبد المنعم عمايري.

أما الفنانة ميرنا شلفون فأبدت إعجابها بالعرض، وقالت: العرض جميل وفريد، وسعيدة جداً بنجاح منال عجاج لأنها سيدة سورية نجحت برفع اسم بلدها أينما حلت، أما ظهور الشباب بزي الجيش العربي السوري فهو تحية منها لجيش بلدها، في لفتة مميزة.

وأكدت أن علينا دعم عجاج ودعم أي سوري ناجح، لأن الناجحين فخر لسورية في أي مجال، ودعمهم واجب وطني.

ورأت الفنانة نادين قدور أن العرض ساحر وجميل، وكالعادة يشبه صاحبته أيقونة الجمال منال عجاج التي أرفع لها القبعة وأفتخر فيها كسورية وأتمنى لها النجاح والتوفيق.

وأضافت: عندما يرتبط الإبداع بالثقافة العالية التي ظهرت في العرض، نرى هذه النتيجة العظيمة، والغرض منها التعريف بتاريخ نساء سورية عبر عدة عصور.

وأخيراً، عبرت عارضة الأزياء يُمن عثمان عن سعادتها لكونها جزءاً من العرض، وأضافت: سعيدة بوجودي في «آلهة الياسمين» وقد قدمت زياً مميزاً وجميلاً مع العارضات صاحبات الجنسيات المختلفة، وكنتُ مصرة على الحضور لكثرة حبي للمصممة العالمية منال عجاج، وقد كانت لي تجربة سابقة معها، علماً أني بدأت أول عروضي معها أيضاً.

عجاج ومخرج العرض عبد المنعم عمايري

> آخر صيحات الموضة والفن والجمال والتاريخ والمجد والدراما في عرض واحد

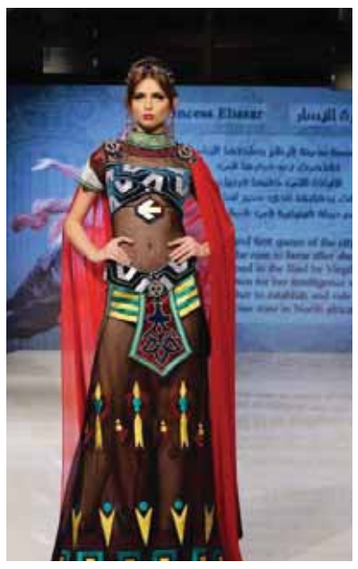

من التصاميم التي قدمتها منال عجاج خلال عرض «آلهة الياسمين»